ما هو الإيمان بالله في القرآن

كتبه غريب بتاريخ الأربعاء ١٤ شوال ١٤٤٢

يتصور كثير من الناس أن الإيمان بالله يعني الاعتراف بأن اللّٰه موجود, وخالق كل شيء, وحسب, فمن اعترف بوجود اللّٰه فهو مؤمن بالله بزعم كثير من الناس, وهذا تصور خاطئ كما سوف نبين من خلال المحاور التالية:

- ما هو الإيمان بالله في القرآن
- لماذا يقتصر الناس الإيمان بالله في التصديق بوجود اللّٰه

ما هو الإيمان بالله في القرآن

إن موضوع الإيمان هو أهم المواضيع التي ناقشها القرآن, وأهم أركان الإيمان, الإيمان بالله الذي سوف نتحدث عنه من خلال الآيات التالية:

أولا قوله سبحانه:

﴿ تَدعونَني لِأَكفُرَ بِاللَّهِ وَأُشرِكَ بِهِ ما لَيسَ لي بِهِ عِلمٌ وَأَنا أَدعوكُم إِلَى العَزيزِ الغَفّارِ ﴾

[غافر: ٤٢]

إذا تأملنا هذه الآية, نجد أن مؤمن آل فرعون اتهم قومه بأنهم يدعونه ليكفر بالله :

﴿ تَدعونَني لِأَكفُرَ بِاللَّهِ ﴾

ثم بيَّن هذا الكفر بالله الذي يدعوه إليه قومه:

﴿ وَأُشرِكَ بِهِ ما لَيسَ لي بِهِ عِلمٌ ﴾

فواو العطف هنا تدل على البيان, أي أن الكفر بالله يعني الشرك بالله, ولا يعني نكران وجود اللّٰه سبحانه

إذاً الإيمان بالله هو توحيد اللّٰه عز وجل، لأن الإيمان بالله عكس الكفر بالله وهو الشرك بالله.

الآية الثانية هي قوله سبحانه:

﴿ وَقالَ الَّذينَ استُضعِفوا لِلَّذينَ استَكبَروا بَل مَكرُ اللَّيلِ وَالنَّهارِ إِذ تَأمُرونَنا أَن نَكفُرَ بِاللَّهِ وَنَجعَلَ لَهُ أَندادًا وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوُا العَذابَ وَجَعَلنَا الأَغلالَ في أَعناقِ الَّذينَ كَفَروا هَل يُجزَونَ إِلّا ما كانوا يَعمَلونَ ﴾

[سبأ: ٣٣]

هنا أيضا يتضح أن الكفر بالله الذي أمر به الذين استكبروا الذين استضعفوا هو أن يجعلوا لله أندادا والعياذ بالله:

إِذ تَأمُرونَنا أَن نَكفُرَ بِاللَّهِ وَنَجعَلَ لَهُ أَندادًا

الآية الثالثة قوله سبحانه:

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعدِ إيمانِهِ إِلّا مَن أُكرِهَ وَقَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإيمانِ وَلكِن مَن شَرَحَ بِالكُفرِ صَدرًا فَعَلَيهِم غَضَبٌ مِنَ اللّٰهِۖ وَلَهُم عَذابٌ عَظيمٌ ﴾

[النحل: ١٠٦]

حين نتأمل هذه الآية نجد أن اللّٰه عز وجل عبر عن الكفر مطلقا بقوله:

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعدِ إيمانِهِ ﴾

فأي كفرٍ أياً كان هو كفر بالله سبحانه، ومن ثم فإن الإيمان بالله يعني الإيمان كله المنافي الذي هو نظير الكفر.

فمن مثلا كفر باليوم الآخر، فهو كافر بالله، وقد نص ربنا عز وجل على ذلك في قوله:

﴿ وَإِن تَعجَب فَعَجَبٌ قَولُهُم أَإِذا كُنّا تُرابًا أَإِنّا لَفي خَلقٍ جَديدٍ أُولئِكَ الَّذينَ كَفَروا بِرَبِّهِم وَأُولئِكَ الأَغلالُ في أَعناقِهِم وَأُولئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ ﴾

[الرعد: ٥]

والسبب أن كل كفر إنما يرجع إلى صورة من صور الشرك حيث يكون المرء مشرك بهواه بشكل من الأشكال, وربنا يقول:

‹ أَرَأَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنتَ تَكونُ عَلَيهِ وَكيلًا ›

[الفرقان: ٤٣]

لماذا يقتصر الناس الإيمان بالله في التصديق بوجود الله

هناك عدة عوامل جعلت الناس تقتصر الإيمان بالله على التصديق بوجود اللّه أهمها في نظري:

أولا انتشار فكر الإرجاء وتغلله في الأمة

إن السبب الأول في اعتقادي هو انتشار فكر الإرجاء في الأمة قديما وحديثا لدرجة أنه هو الغالب على الناس, وفكر الإرجاء يقتصر الإيمان على التصديق ويخرج العمل من مسمى الإيمان.

قد يقول البعض إن الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد وقول وعمل, فأقول إن هذه مجرد دعوى, وفي الواقع عند التطبيق نجد من يسمون بأهل السنة والجماعة يعتبرون الإيمان مجرد التصديق دون العمل وإليك الدليل

يقول ربنا عز وجل:

‹ وَلا تَقرَبُوا الزِّنا إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبيلًا ›

[الإسراء: ٣٢]

فإذا قال زيد أنا أصدق بأن هذه الآية من كلام اللّه عز وجل, ولكني لن أعمل بها, فإن زيداً يعتبر عند أهل السنة والجماعة مؤمنا بهذه الآية في زعمهم بالرغم من عدم وجود العمل, مما يؤكد أن العمل عندهم خارج مسمى الإيمان عند التطبيق.

طبعا من علم معنى الإيمان بالقرآن والسنة الذي سبق وناقشنا, سوف يعلم بالدليل أن زيداً هذا قد كفر بهذه الآية, لأن الإيمان بها ليس مجرد التصديق بكونها من كلام اللّه عز وجل وإنما العمل بها أيضاً.

إذاً بسبب الفكر الإرجائي انتشر في الناس تصور أن الإيمان بالله يعني التصديق بوجود الله وحسب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثانيا ظهور الإلحاد

ظهور أقوام ينكرون وجود الله أصلا, جعل الناس تتصور أن هؤلاء الملحدين هم وحدهم الذين كفروا بالله, وأن من اعتقد أن الله موجود فقد آمن بالله, وهذا طبعا باطل كما سبق وبينا.